دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التخطيط الشامل : حسنة السوفيت الوحيدة
المصدر:	مجلة الدبلوماسي
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
المؤلف الرئيسي:	الجهنى، محمد فالح
المجلد/العدد:	ع 33
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2007
الشهر:	مارس - ربيع الأول
الصفحات:	56 - 59
رقم MD:	385076
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	التخطيط الاقتصادي ، الاتحاد السوفيتي ، الاشتراكية ، النظم الاقتصادية ، الرأسمالية ، التنمية الاقتصادية ، التنمية الشاملة ، الموارد الطبيعية ، الموارد البشرية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/385076

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التخطيط الشامل:

حسنة السوفيت الوحيدة

إعداد: محمد فالح الجهني - المدينة المنورة

يعتقد بعض الناس أن من حسنات الاتحاد السوفيتي السابق، قيامه على نظرية اقتصادية واجتماعية ناهضت الإقطاع، والرأسمالية، والطبقية، ووقفت موقف الند والنقيض منها، ويعتقد آخرون أن من حسناته إشعال التنافس التقني والعلمي مع الولايات المتحدة، ما أدى إلى تطور ملموس، خصوصًا في علوم الفضاء. ويعتقد فريق ثالث أن من حسنات السوفيت كونهم أخَروا السيطرة الرأسمالية الغربية على مقدرات العالم، وسيادة القطب الواحد لفترة انتهت بنهاية ما عرف بالحرب الباردة، لكنها حسنات انتهت بتفكيك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، فما الحسنة الوحيدة الجارية التي بقيت للعالم من أفكار السوفيت؟!

نجم السوفيت

كان قياصرة أسرة رومانوف آخر زعماء روسيا القيصرية، فقد تخلى القيصر نيقولا الثاني عن العرش، إثر اندلاع ثورة فبراير ١٩١٧، لتقوم حكومة انتقالية بقيادة الكسندر كبرسنكي، حتى قام فلاديمير لينين بثورة أكتوبر ١٩١٧ الشهيرة بالثورة البلشفية التي تأسس بنجاحها دولة اتحادية اشتراكية عظمى في وقتها هي الاتحاد السوفيتي السابق، ليبزغ نجم السوفيت.

حث لينين وأنصاره جميع عمال الدنيا على الالتفاف حول المبادئ الشيوعية، وتوحيد كلمتهم استعدادًا للثورة العالمية التي ستسفر، لا محالة، عن دولة عالمية اشتراكية لا طبقات فيها، ولا ملكية خاصة!!

ومات لينين عام ١٩٢٤، فخلفه جوزيف ستالين الذي أقام من روسيا قاعدة حقيقية للشيوعية العالمية، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية انضمت الصين لهذا المعسكر الشيوعي الشرقي عام ١٩٥٠، كذلك دول أوروبا الشرقية، فشهد العالم صراعًا استراتيجيًا أيديوليجيًا خفيًا بين المعسكرين الغربي الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة الأميركية، والشرقي الشيوعي بزعامة الاتحاد السوفيتي، وقد عرف هذا الصراع الخفي بفترة الحرب الباردة التي انتهت تمامًا عام ١٩٩١ عند تفكك أو تفكيك الاتحاد السوفيتي بتخطيط، وتذكّر يا عزيزي القارئ كلمة تخطيط هذه جيدًا، أمريكي غربي ماكر وناجح، ليأفل نجم السوفيت.

وقف الاتحاد السوفيتي خلال فترة الحرب الباردة موقف الند والنقيض للرأسمالية الغربية، ودخل في تنافس تقني، وعلمي مثير مع الولايات المتحدة كان من أبرز مفرزاته غزو الفضاء، ووصول البشر إلى سطح القمر. كما أن الصراع والتنافس العسكري، وظهور حلفي وارسو وشمال الأطلسي قد ضَمِنَ فترة طويلة يخشى كل طرف فيها الآخر. فلم يعرف العالم قطبًا عسكريًا واقتصاديًا واحدًا يتحكّم في العالم ومقدّراته، ويعيث في الأرض كما يشاء، ويفرض ما يريد، ويمحو ما لا يريد، ويحول كل القنوات الاقتصادية إلى خزانته.

لكن الشيوعية الاشتراكية السوفيتية هي فكرة قامت على الإلحاد، إضافة إلى أن واقعها كان على النقيض من شعاراتها، إذ كانت إقطاعًا ودكتاتورية لم تخف على أحد، فلم تعد اشتراكية السوفيت حسنة لهم. والمنجزات العلمية للسوفيت كانت في إطار التنافس الاستراتيجي العسكري مع الغرب ولها وجه مخيف وقبيح تمثّل أكثر ما تمثّل في مبادرة الدفاع الاستراتيجي أو ما اشتهر خلال الحرب الباردة باسم «حرب النجوم» التي أقضّت مضاجع البشر خلال ثمانينيات القرن العشرين، وعليه فلا تُعَدّ هذه حسنة للسوفيت، أيضًا، وبما أن العولمة (الأمركة) باتت على الأبواب بعد تفكيك الاتحاد السوفيتي، فلم يبق من حسنات السوفيت سوى مبدأ واحد ورّثوه للعالم، وأخذت به أغلب دول العالم متقدّمة ونامية على حد سواء، وحقق لها قدرًا كبيرًا من التقدّم والتنمية، ذلكم هو مبدأ التخطيط الشامل Overall planning.

التخطيط الشامل ابتكار سوفيتي مذهل

يرجع استعمال اصطلاح التخطيط Planning إلى عام ١٩١٠، حيث استعمله الاقتصادي النمساوي كريستيان شويندر في مقال اقتصادي، إلا أن اللفظ لم يكتسب شهرته الواسعة إلا بعد أن أخذ الاتحاد السوفيتي بمنهج التخطيط الشامل عام ١٩٢٨، وتنفيذه لأول خطة خمسية في العالم (١٩٢٨– ١٩٣٢). كما اكتسبت فكرة التخطيط الشامل، أيضًا، قيمة وأهمية كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية بعد نجاح نموذج التخطيط الذي تبناه الاتحاد السوفيتي، وأثبت فعالية في تطوره اقتصاديًا واجتماعيًا وتماسكه في الحرب العالمية الثانية.

وكان أكثر الأمور دهشة، وإثارة في عملية التخطيط التي انتهجها السوفيت سرعة التنفيذ ودقته، وتحقيق الأهداف التنموية المتوخاة، حتى عبّر أحد المفكرين عن دهشته حيال هذا الأمر بقوله: إن مئة وخمسين عامًا في الاقتصاد، وتاريخ التربية الإنجليزية قد اختُصر في الاتحاد السوفيتي إلى أقل من عشرين عامًا، وأنتجت تغييرًا هو الأكثر جذرية، وسرعة في التاريخ.

وبعد أن استقلت البلدان النامية، بعد الحرب العالمية الثانية، وجدت قيادات هذه البلدان أنها في مواجهة تحديات تنموية أصعب من تحديات الحصول على الاستقلال السياسي، فما كان منها إلا أن أخذت بمفاهيم التخطيط التي ابتكرها الاتحاد السوفيتي، وذاع صيتها في ذلك الوقت، فأصابت قدرًا كبيرًا من النجاح في مواجهة هذه التحديات.

والتخطيط الشامل فرضته الاشتراكية نفسها. فتملّك المجتمع لأدوات الإنتاج في ظل الاشتراكية يترتب عليه عدم وجود جهاز السوق الذي يحدد الإنتاج في ظل الاقتصاد الرأسمالي، واختفاء جهاز السوق هذا يحتّم إيجاد بديل له لتسيير الاقتصاد القومي، وهذا البديل كان التخطيط الشامل.

وللتخطيط الاشتراكي هدفان رئيسان أولهما: توطيد التنسيق بين مختلف النشاطات الاقتصادية، وثانيهما: تحديد الإنتاج بمقتضى الحاجات لا بمقتضى الأرباح المرتقبة.

والتخطيط بهذه الصورة يختلف عن التخطيط الاقتصادي في البلاد الرأسمالية التي تطبّق نوعًا من التخطيط التوجيهي فقط، وهو تخطيط توجه به السلطات العامة بعض جوانب الاقتصاد القومي لتحقيق بعض الأهداف مثل العمالة الكاملة، وتوازن ميزان المدفوعات، عن طريق السياسات النقدية، والمالية، والاقتصادية دون أن تكون في يدها جميع الإمكانات التي تضمن النجاح وتكفله في تحقيق هذه الأهداف، ويرجع ذلك إلى أن التخطيط في البلاد الرأسمالية لا يمس الملكية الخاصة، ولا حرية النشاط الاقتصادي الخاص. ويظل سير الاقتصاد هناك خاضعًا لجهاز السوق، بعكس الوضع في البلاد الاشتراكية، حيث كان يخضع الاقتصاد للبديل وهو التخطيط الشامل.

ولنجاح التخطيط الشامل أنشأ السوفيت جهازًا متخصصًا في التخطيط تتوفر له البيانات اللازمة، وتكون الخطط التي يضعها علميّة خالصة في التحضير، والتنفيذ، والمراقبة، والتقييم، مع مراعاة الترابط والتناسق بين أجزائها ومراحلها،

أكثر الأمور دهشة وإثارة في عملية التخطيط التي انتهجها السوفيت سرعة التنفيذ ودقته، وتحقيق الأهداف التنموية المتوخاة

وأن تكون شاملة لكل الجوانب، وملزمة لجميع الجهات في الدولة، وأن تكون مرنة، بحيث يمكن تعديلها تحت أي ظرف يستدعي التغيير والتعديل، إضافة إلى استمرار عملية التخطيط وكونها غير متقطّعة.

وبنجاح التخطيط كأسلوب عمل، انتقلت الفكرة، منفصلة عن الاشتراكية في كثير من الحالات، إلى جميع دول العالم النامي والمتقدّم حتى صار هناك اعتراف عالمي بفكرة التخطيط الشامل بصفته عملية أساسية لا غنى عنها في سبيل تحقيق أهداف التنمية الشاملة.

وأصبح لكل دولة في العالم، على وجه التقريب، وزارة أو جهة أو هيئة يكون اختصاصها القيام بعملية التخطيط الشامل من خلال التنسيق والتعاون مع جميع الجهات في الدولة، الاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية، والثقافية، والإدارية، والصحية... إلخ.

التخطيط نشاط إنساني ليس بالجديد

من التعاريف البسيطة لعملية التخطيط، التعريف القائل بأن التخطيط هو عملية وضع أهداف معينة، ومحاولة الوصول إليها في حدود الإمكانات المتاحة، والتعريف الذي يصفه بأنه ترتيب لأولويات العمل، والتعريف الذي يرى بأنه عملية منظمة واعية لاختيار أفضل الحلول والقرارات لحل مشكلة ما، والتعريف الذي يجعله يتضمن النظرة إلى المستقبل، ومحاولة التحكم فيه، أو السيطرة عليه، متضمنًا العمل الإيجابي الهادف والبنّاء. وهناك تعريف يختصر التخطيط بعملية استشراف للمستقبل بكل ما تعنيه كلمة استشراف من تصور للمستقبل بالاعتماد على مؤشرات مؤكدة، والاستعداد لهذا المستقبل في حدود الإمكانات المتاحة، ومحاولة الموازنة بين الإمكانات والطموحات (الوسائل والأهداف).

وبهذه التعاريف البسيطة، فالتخطيط أمر لا تخلو منه حياة الإنسان اليومية. فأحدنا قبل أن يخرج من بيته لا بد أن يكون خارجًا لجهة يعلمها، وقد وضع في ذهنه الخطوات التي سيقوم بها، والأماكن التي سيمر عليها والنقود الكافية للحصول على احتياجاته حتى عودته إلى منزله مرة أخرى. ومن البديهي أن يخطط المرء لمستقبل حياته وحياة أبنائه، بل إن الإنسان لم يعدم التخطيط بهذا المفهوم منذ أن وجد على سطح الأرض، أما المؤمنون بالله، واليوم الآخر فيمارسون التخطيط بمفهومه البسيط والعميق على حد سواء، فما العمل في الحياة الدنيا الزائلة في نظر المؤمن سوى تخطيط للخلود في الحياة الآخرة الباقية، يشهد بذلك قول الله، تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدّمت لغد﴾ (سورة الحشر–١٨). والمسلمون مطالبون حتى بالتخطيط لأمور الدنيا، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (سورة الأنفال–٦٠)، وجميعنا يذكر الصورة التي عرضها القرآن الكريم لنبي الله يوسف، عليه السلام، عندما عُين وزيرًا لعزيز مصر في العصر القديم، وأراه الله، عز وجل، أن مصر ستمر بها سنوات قحط بعد أن تعيش سنوات رفاهية، فكان أن نصح يوسف، عليه السلام، وخطّط بحيث يخفّف إلى حد كبير من وطأة القحط عند الجفاف (راجع سورة يوسف٤٦-٤٨).

التخطيط والتنمية

لتوضيح مفهوم التخطيط بوجه عام يستعرض الدكتور محمد سيف الدين فهمي استخدام هذا المفهوم في مجالات العلوم المختلفة حتى يبلور مفهومًا للتخطيط الشامل ذا العلاقة المتشابكة مع مفهوم التنمية الشاملة.

فالتخطيط عند رجال الإدارة هو العمل الذهني الذي يسبق إصدار القرار. لذلك فالتخطيط في مجال الإدارة مرحلة أولى من

مراحل العملية الإدارية التي تبدأ بالتخطيط وتنتهي بالمتابعة والتقويم، ومرورًا بعمليات التنظيم والتوجيه والرقابة.

والتخطيط عند رجال الاقتصاد هو المنهج العلمي العقلاني الذي يستهدف تحقيق أهداف اقتصادية للدولة أو المجتمع، ويتضمّن ذلك حصر الموارد البشرية والمادية المتاحة والممكنة وتوجيهها بطريقة علمية مرشدة لسد احتياجات المجتمع، وبحيث يتحقق أقصى قدر ممكن من التنمية الاقتصادية ممثلاً في زيادة الإنتاج، أو نصيب الفرد من الدخل القومي أو ارتفاع مستوى المعيشة في أقصر فترة ممكنة، وبأقل قدر من الكلف الاقتصادية والاجتماعية.

والتخطيط عند رجال الاجتماع هو العمل المنظم القائم على التفكير العلمي والبحث الاجتماعي الذي يستهدف إحداث تغييرات اجتماعية مقصودة في ضوء فلسفة اجتماعية ارتضاها المجتمع وتبناها، بحيث لا يترك التغيير الاجتماعي لعوامل المصادفة، أو الخضوع والاستسلام لقوى داخلية أو خارجية ومؤثراتها، تعمل على تفككه، أو تأخره، أو ضياع آماله.

والتخطيط الثقافي هو العمل المنظم والمرسوم سلفًا الذي يستهدف تنظيم شؤون الثقافة في المجتمع، ورفع مستوى ما تقدّمه المؤسسات الثقافية من كتاب، ومسرح، وفنون، وبالتالي ضمان مستوى ثقافي للأفراد، وتنمية تذوقهم للفن، والجمال، وتكوين رأي عام مستنير ثقافيًا.

والتخطيط للإسكان يعني مجموعة العمليات النظرية التمهيدية التي تستند إلى الدراسة العلمية والمعتمدة على مجموعة كبيرة من البيانات الإحصائية الخاصة بنمو السكان، واتجاهات الهجرة، ونمو المجتمعات الحديثة، ونمو الصناعة والخدمات وتوطينها، وتطور احتياجات الأفراد، وتغير أنماطها فيما يخص السكن، وتوفر الأراضي والخامات المحلية والمستوردة للبناء وغير ذلك من بيانات مناسبة، والتي تهدف إلى وضع الحلول وتنفيذها لحل مشكلات الإسكان وتوفير سكن مناسب لجميع أفراد المجتمع.

والتخطيط للأسرة يعني مجموعة العمليات النظرية التي تهدف إلى تحسين أوضاع الأسرة، والوفاء بمطالبها، وسد احتياجاتها مثل تنظيم الإنجاب، وتوفير الخدمات الصحية للأم والطفل، وترشيد الإنفاق وتوجيهه لصالح الأسرة، ويتطلب هذا التخطيط، أيضًا، توفر قدر كبير من البيانات الإحصائية.

العلاقة بين التخطيط الشامل والتنمية الشاملة علاقة واضحة وأكيدة، إذ إن التخطيط الشامل يهدف إلى استغلال جميع الموارد المالية والطبيعية والبشرية لإحداث التنمية المقصودة

ويمكن الإضافة لما قاله الدكتور فهمي هنا أن التخطيط التعليمي أو التربوي هو العمل العلمي المنظم المستمر لتحقيق الأهداف التعليمية المستقبلية بوسائل محددة. ويقوم هذا العمل على مجموعة من القرارات والإجراءات الرشيدة لبدائل واضحة وفقًا لأولويات مختارة بعناية. ويهدف هذا التخطيط إلى تحقيق أقصى استثمار ممكن للموارد والإمكانات المتاحة ولعنصري الزمن والكلفة، ليصبح النظام التعليمي بمراحله الأساسية أكثر كفاية وفاعلية للاستجابة لاحتياجات المتعلمين، وتنميتهم الدائمة.

ويتضح من العرض السابق لمجالات التخطيط أن هذه الأشكال من التخطيط تتفق في كونها عملاً يقوم على التفكير، والبحث العلمي، والإحصاءات الدقيقة والحديثة، والتنظيم والقصدية في إحداث التغيير نحو الأفضل. وهذا يذكرنا بعملية التنمية الشاملة، تلك العملية الوطنية المعقّدة التي تهدف إلى إحداث التغيير في المجتمع نحو الأفضل في كل المجالات الإدارية، والسكانية، والتعليمية، والاقتصادية، والاجتماعية. والتنمية بهذا المفهوم لا يمكن أن تتم في مجال دون المجالات الأخرى. فالتنمية الاقتصادية تتطلب تنمية اجتماعية والتنمية الاجتماعية تتطلب تنمية تعليمية تربوية، وهذه بدورها تتطلب تنمية ثقافية، وهكذا.

ويؤكد الدكتور فهمي أن العلاقة بين التخطيط الشامل والتنمية الشاملة علاقة واضحة وأكيدة، إذ إن التخطيط الشامل يهدف إلى استغلال جميع الموارد المالية والطبيعية، والبشرية لإحداث التنمية المقصودة في جميع قطاعات النشاط الاقتصادي والاجتماعي بقصد توفير الخير والسعادة للمجتمع. فأهداف التخطيط لأي قطاع يجب أن ينظر إليها ضمن إطار الأهداف العامة للخطة التنموية الشاملة. وفي نظر التخطيط الشامل ليس هناك حق للتعليم، أو حق للرعاية الصحية، أو حق للعمل كحقوق مستقلة بعضها عن بعض، ولكنّ هناك حق لكل فرد في المجتمع وهو أن يحيا حياة كريمة بكل ما يتضمنه ذلك من زيادة في الدخل أو الاستهلاك، وارتفاع في مستويات التعليم، والصحة، والخدمات الاجتماعية، وغير ذلك.

وعلى ما سبق يقول الدكتور فهمي: إن مفهوم التخطيط الشامل يمكن أن يعرّف بأنه الأسلوب العلمي أو مجموعة الوسائل التي تستطيع بها الدولة أن تكشف عن موقعها الحاضر، وترسم سياستها للمستقبل، بحيث تحقق الاستفادة الكاملة بما لديها من موارد وإمكانيات، بما يحقق الارتفاع المستمر في مستوى المعيشة لجميع المواطنين. ويمكن القول بأن التخطيط الشامل، حسب فهمي أيضًا، هو العملية المقصودة المبنية على أساس من الدراسة العلمية، والتفكير والتدبير التي تهدف إلى الوصول إلى تحقيق أهداف تنمية معينة سبق تحديدها في ضوء احتياجات المستقبل وإمكانيات الحاضر.

هذا هو التخطيط الشامل حسنة الاتحاد السوفيتي السابق، وربما كان حسنته الجارية الوحيدة! ولنتساءل: هل من حسنات ستبقى عندما يأفل نجم الرأسمالية الغربية ؟! ■

المراجع:

- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الاقتصادية (سلسلة المعاجم العلمية، المعجم رقم ٨)، ط١، ١٩٩٧م، دار الفكر اللبناني، بيروت.
- محمد سيف الدين فهمي، التخطيط التعليمي (أسسه وأساليبه ومشكلاته)، ط٦، ١٩٩٦م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- هاشم بكر حريري، الإدارة التربوية، ١٤٢٠هـ، مكتبة الأفق، مكة المكرمة.
- موسوعة السياسة، ط٣، ١٩٩٠م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- الموسوعة العربية الميسّرة، ط ١٩٨٠م، دار نهضة لبنان، بيروت.